مراعاة السنة النبوية للأساليب النفسية والتربوية في التعامل مع الزوجات

د. سعد عبد الرحمن فرج
كلية التربية للبنات / قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الله تعالى خلقنا أزواجا، وجعل منا الذكر والأنثى يميل بعضهم إلى بعض بالفطرة والطبع ليكونا بمشيئة الله أسرة، ويرزقان بنين وحفدة، وهذه سنة الله تعالى في الخلق لا يزيغ عنها إلا هالك.

ومن نعم الله تعالى على بني البشر أن جعل النكاح المشروع لا السفاح الممنوع أساس العلاقة بين الرجال والنساء، وقضى أن يمنحوا السكينة والمودة والرحمة إن هم التزموا بشرعه وتعاليمه، يقول سبحانه : ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)).(سورة الروم، آية ٢١).

ولقد كانت المرأة تعامل قبل الإسلام معاملة القطيع والعبيد، فجاء الإسلام ليعلم أتباعه أن هذه المرأة والزوجة والأم والأخت والبنت خلق مكرم محترم كخلق الرجال له كامل الحقوق والواجبات.

ولقد حفل القرآن والسنة النبوية المطهرة بجملة من الأساليب النفسية والتربوية التي تخدم مقاصد الشريعة في إقامة الأسرة الصالحة وحسن التعامل مع الزوجات.

ونريد في هذا البحث تسليط الضوء على رعاية السنة النبوية المطهرة حصرا للأساليب النفسية والتربوية في التعامل مع الزوجات.

وتكمن أهمية الموضوع في الانتشار الهائل للعنف الأسري، ونسب الطلاق المرتفعة، وتصدع الأسر المسلمة نتيجة البعد عن منهج النبوة في التعامل مع الزوجات نفسيا وتربويا، فلعل هذا البحث يساهم في رأب الصدع ويعالج الانحراف الذي أصاب العلاقات الزوجية.

أما أهم العوائق التي واجهتني في الموضوع وأنا أجول في كتب التفسير والحديث والفقه لأظفر بمعاني ودلالات نفسية وتربوية فلم أجد بغيتي الكافية، إذ أن غلبة التفسير والشرح الفقهي للحديث هو الغالب، مع عدم خلوها من تعليقات وإشارات نفسية وتربوية نفسية ونافعة.

وأما منهجي في البحث فهو استنباط عنوان للأسلوب النفسي أو التربوي من الحديث، ثم استنباط المعاني النفسية والتربوية من الحديث.

وأما خطة البحث فهو على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

اما المقدمة فذكرت فيها أهمية الموضوع وهدفه وعوائق البحث ومنهج البحث وخطته.

وأما التمهيد فكان في إثبات عناية الشريعة بحسن العشرة والتعامل مع الزوجات.

واما المبحث الأول فكان: مراعاة السنة القولية للأساليب النفسية والتربوية في التعامل مع الزوجات، وفيه ثلاثة عشر أسلوبا.

واما المبحث الثاني فكان: مراعاة السنة العملية للأساليب النفسية والتربوية في التعامل مع الزوجات، وفيه ثلاثة عشر أسلوبا ايضا.

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

والله تعالى اسأل أن أكون قد وفقت في انتقاء النماذج النبوية، وأختم داعيا ربي: ((ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)).(الفرقان، آية٧٤).

تمهيد

في اثبات عناية الشريعة بحسن العشرة والتعامل مع الزوجات

والأصل الأصيل في ذلك قوله تعالى: ((وعاشروهن بالمعروف))(سورة النساء، آية١٩).

فهذه الآية تمنح المسلم منهجا عاما ألا وهو العشرة بالمعروف مهما كانت الظروف، يقول ابن كثير: ((أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله)).(ابن كثير،١٤٠١هـ، ج١/ص٤٦٧).

إن من مقاصد الزواج العظيمة والكبرى هو تحقيق المودة والرحمة والسكن بين الزوجين، ولن تتم ذلك إلا بالمعاشرة الطيبة والاحترام المتبادل ومبادلة المعروف ونفي كل ما يعكر هذه العلاقة المقدسة، فما من خير يؤكد هذه العلاقة إلا وقد حض الاسلام عليه ((...وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وان يكون منطلقا في القول لا فظا ولا غليظا ولا مظهرا ميلا إلى غيرها،...فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش، وهذا واجب على الزوج ولا يلزمه في القضاء، وقال بعضهم ان يتصنع لها كما تتصنع له)).(القرطبي، ج٥/ص٩٧).

واما السنة النبوية فقد أشارت إلى مكانة المرأة عموما والزوجة خصوصا، فالنبي صلى الله عليه وسلم يصرح بحب النساء والزوجات لما لهن من اثر في حياة الرجل، وكونهن اللائي يكملن له حياته ويجملنها ويضفين عليها السعادة والهناء.

فعن انس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((حبب إلي النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة)). (رواه أحمد، رقم ١٣٠٧٩، ج٣/ص١٩٩، والنسائي،١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م رقم ٣٩٣٩،ج٧/ ص٦١، والحاكم، ١٤١١هـ .١٩٩٠م، رقم ٢٦٧٦،ج٢/ص١٧٤وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم).

فالحديث((فيه إشارة إلى أن محبة النساء والطيب إذا لم يكن مخلا لأداء حقوق العبودية بل للإنقطاع إليه تعالى يكون من الكمال، وإلا يكون من النقصان)).(السندي، ١٤٠٦هـ.١٩٨٦م، ج٧/ص٦٢).

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل مناط الخيرية في الإحسان إلى الأهل والزوجة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم

لأهلي))،(رواه الترمذي، رقم ٨٣٩٥،ج٥/ص٧٠٩، وقال: حديث حسن غريب صحيح،وصححه ابن حبان، ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م، رقم٤١٧٧، ج٩/ص٤٨٤، والحاكم،١٤١١هـ .١٩٩٠م رقم ٧٣٢٧، ج٤/ص١٩١ ،).

فخير الناس من أحسن العشرة مع زوجته، وقد فهم الصحابة الكرام ذلك فهذا عمر رضي الله عنه يقول . مع صلابته .: ((ينبغي للرجل ان يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلا)).(الغزالي، ج٢/ص٤٤).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث الحج الطويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله...))،(قطعة من حديث رواه مسلم،رقم١٢١٨،ج٢/٨٨٦).

المبحث الأول

مراعاة السنة النبوية القولية للأساليب النفسية والتربوية في التعامل مع الزوجات

أولا: أسلوب الحوار والإقناع

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما اصنع، فقال: ما لك يا عائشة أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله: أقد جاءك شيطانك؟ قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم)).(رواه مسلم، رقم ٢٨١٥،ج٤/ص٢١٦٨).

فلننظر إلى هذا الحوار الهادئ المملوء بالحب والحنان والتفهم والصبر، زوج النبي صلى الله عليه وسلم تغار من ضرائرها، فيتفهم طبيعتها وميولها فلا يعنفها أو يستعلي على الحوار معها، بل يداريها ويفتح بينه وبينها حوارا مؤديا بالضرورة إلى الإقناع.

إن الغيرة من الضرة من الأشياء التي جبلت عليها النساء، ولا سيما عند من كانت تحب زوجها، ومعنى الحديث ((أي كيف لا يغار من هو على صفتي من المحبة ولها ضرائر على من هو على صفتك من النبوة والمنزلة من الله تعالى، وقد خرج في مثل هذا الوقت من عندها)). (القاري، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج٦/ص٤٤٢).

إن من أهم أسباب المشكلات الزوجية التي تصل في بعضها إلى الطلاق هو غياب الحوار بين الزوجين، إذ يحمل كل منهما تصورا خاصا يظن أن صاحبه خلافه، وبغياب الحوار يتعمق هذا التصور فيتحول إلى حقد وضغينة وفهم سيء، والحوار هو الكفيل بشرح وجهات النظر للآخر بكل حرية، ويتيح التنفيس والاتفاق على الخطوط العريضة ومن ثم القناعة بنمط الحياة التي يعيشها الزوجان.

ثانيا: أسلوب الإعلان عن مشاعر الحب

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد رزقت حبها)).(رواه مسلم، رقم ٢٤٣٥،ج٤/ص١٨٨٨).

لننظر إلى هذا السمو في المشاعر والمحبة والإعلان عنها بوضوح، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب خديجة رضي الله عنها غير كاتم لذلك، ولا مستح من ذكر مشاعره وأحاسيسه تجاه من يحب.

إن الإعلان عن الحب ليس ضعفا بل هو القمة في القوة، ((فمحبة النساء من كمال الإنسان)). (ابن القيم الجوزية،ج١/ص١٧٢).

إن الإعلان عن الحب والبوح به يؤكد الأواصر بين الزوجين، ويجدد الحياة ويبعث فيها الحيوية والبهجة، ويمسح كل ما عسى الحياة قد أبقته في القلوب من مواقف وانطباعات، وإنه بالتجربة لا يؤثر شيء في الزوجة من أن يقول لها زوجها: إنه يحبها.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((قلت يا رسول الله: ارأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في التي لم يرتع منها، تعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها)).(رواه البخاري، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم ٤٧٨٩،ج٥/ص١٩٥٣).

وقوله ترتع:ارتع بعيره إذا تركه يرعى ما شاء، ورتع البعير في المرعى إذا أكل ما شاء،(العسقلاني،ج٩/ص١٢١).

هكذا يفصح النبي صلى الله عليه وسلم عن مشاعره بكل وضوح ومحبة وتودد، وكم فرحت عائشة رضي الله عنها بهذا التصريح.

ثالثا: أسلوب المدح والثناء

ومثاله ما رواه الإمام علي - كرم الله وجهه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة)).(رواه البخاري، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم ٣٦٠٤،ج٣/ص١٣٨٨).

إن أسلوب المدح والثناء من الأساليب الفعالة نفسيا، فهو يتضمن الاعتراف بالفضل لأهل الفضل، وفيه التحبب إلى الزوجة بذكر مناقبها وفضائلها.

والنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث يذكر ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ((ولا خفاء بمساعدتها النبي صلى الله عليه وسلم وشفقتها عليه فصلى الله عليه ورضي عنها)).(ابن عساكر،١٤٠٦هـ ،ج١/ص٥٧).

رابعا: اسلوب التركيز على محاسن الزوجة

ومثاله ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر، أو قال غيره)).(رواه مسلم، رقم ١٤٦٩،ج٢/١٠٩١).

قال اهل اللغة: فركه بكسر الراء يفركه بفتحها إذا ابغضه، والفرك بفتح الفاء واسكان الراء البغض.(ينظر: النووي،١٣٩٢هـ، ج١٠/ص٥٨، وابن الجوزي،١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج٢/ص١٩٠، ابن الأثير،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ج٣/ص٤٤١).

هذا الحديث أصل في التوازن في نظر الزوج إلى زوجته، حيث يأمره أن لا ينظر إلى سلبياتها فحسب، بل ينظر إلى محاسنها وإيجابياتها، إذ أن هذا التوازن هو الكفيل بإنشاء حالة الاستقرار في العشرة الزوجية.

والحديث يحث الزوج على أن ((لا يبغضها بغضا كليا يحمله على فراقها، أي لا ينبغي له ذلك بل يغفر سيئتها لحسنتها ويتغاضى عما يكره لما يحب، وقال مكحول: سمعت ابن عمر يقول: إن الرجل

ليستخير الله تعالى فيختار له فيسخط على ربه عز وجل، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة فاذا هو قد خير له))،(القرطبي، ج٥/ص٩٨،وينظر: الشوكاني، ١٩٧٣م ج٦/ص٣٥٨، الدهلوي،ج١/ص٧٠٩).

ويفصل لنا السيوطي الأمر بمزيد من التصريح في هذا المقام فيقول: ((...وإنما المراد الإخبار بان المؤمنة لا يتصور فيها اجتماع القبائح، بحيث إن الزوج يبغضها البغض الكلي، وبحيث أنه لا يحمد فيها شيئا أصلا، هذا هو معنى الفرك، ووقوع هذا مستحيل فإنه إن كره قبح وجهها مثلا قد يحمد سمن بدنها وعبالة أعضائها وثقل أردافها وأوراكها، أو كره رقتها قد يحمد حلاوة منظرها، أو كره الأمرين قد يحمد جماعها، أو كره الكل قد يحمد دينها او قناعتها او حفظها لماله وحرمته أوشفقتها عليه و خدمتها له، فلا تخلو المؤمنة من خلة حسنة يحمدها الزوج))،(السيوطي في الديباج، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م،ج٤/ص٤٠)

إن النساء غير كاملات كما أن الرجال لم يكملوا، فما دامت قد قبلته بعيوبه ومحاسنه فليقبلها بعيوبها ومحاسنها، ولا يتطلع إلى ما عند غيره، فما عند غيره ليس عنده وما عنده ليس عند غيره، وقد يكون ما عنده خير مما عند غيره، فليحمد الله على كل حال، وليركز على خصال الخير وجانب المحاسن، وهذه وصفة تربوية نبوية سعد من أخذ بها وشقي من زهد فيها.

خامسا: أسلوب التجاوز والصفح عن الأخطاء

ويرشد الى ذلك ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء))،(رواه البخاري،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م،رقم ٣١٥٣،ج٣/ص١٢١٢، ومسلم، رقم ١٤٦٨، ج٢/١٠٩١).

يشير الحديث إلى حقيقة خلقية وهي ان الله عز وجل خلق الذكر والأنثى وركب فيهما العقل والعاطفة، وجعل بحكمته عقل الرجل اكبر من عاطفته، وعاطفة المرأة أكبر من عقلها، وما ذاك إلا كي يتحمل الرجل مشاق الحياة، ومكابدة تحصيل الرزق والنفقة على الزوجة والعيال، وحماية الأسرة مما يهددها، وكي تتحمل المرأة أعباء الحمل والولادة والرضاعة ورعاية الأطفال، وتمنح الحنان للزوج والأولاد، فضعفها وعاطفتها كي تتكامل الحياة الزوجية وليس هضما للمرأة او انتقاصا منها، ولنتخيل حياة بين عقلين متساويين وليس للعاطفة بينهما مجال.

والضلع بكسر الضاد وفتح اللام ويسكن قليلا والأكثر الفتح وهو واحد الأضلاع، والفائدة في تشبيه المرأة بالضلع التنبيه على انها معوجة الأخلاق لا تستقيم أبدا، فمن حاول حملها على الأخلاق المستقيمة أفسدها، ومن تركها على ما هي عليه من الإعوجاج انتفع بها، كما ان الضلع المعوج ينكسر عند إرادة جعله مستقيما، وأراد بقوله: إن اعوج شيء في الضلع اعلاه المبالغة في الإعوجاج والتاكيد لمعنى الكسر بأن تعذر الإقامة في الجهة العليا أمره أظهر.

(ينظـــر: الشـــوكاني،١٩٧٣م ،ج٦/ص٣٥٨، العســـقلاني،ج٦/ص٣٦٨، العينـــي،ج١٥/٢١٢ص، المنـــاوي فـــي التيســـير،١٤٠٨هـــ . ١٩٨٨م ،ج١/ص١٥١، المقدســـي فـــي المغنـــي،١٤٠٥هـــ ،ج٧/ص٢٢٣).

والذي يهمنا من الحديث المعنى النفسي والتربوي، والتوصية من اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم بالمرأة، ومراعاة ضعفها وتقلبها وأخطائها وهفواتها وان لا يتعامل معها بحدية بل يداريها ويسامحها.

ومثاله الآخر ما روته عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى، قال: فقلت: من اين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: ورب إبراهيم، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك)).(رواه البخاري،١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م رقم٤٩٣٠،ج٥/ص٢٠٠٤، ،ومسلم،رقم٢٤٣٩،ج٤/ص١٨٩٠).

إن كثيرا من النساء تقول حين غضبها أشياء لا تقصدها، وإنما تريد ان تشعر زوجها بغضبها وعدم رضاها، وعلى الزوج احتمال غضبها وثورتها كما يطالبها هي أن تحتمل منه غضبه وثورته.

قال القاضي عياض: ((مغاضبة عائشة رضي الله عنها هي من الغيرة التي عفي عنها للنساء، ولولا ذلك لكان عليها في ذلك من الحرج ما فيه، لأن الغضب على النبي صلى الله عليه وسلم كبيرة عظيمة، وفي قولها إلا اسمك دلالة على ان قلبها مملوء من المحبة، وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة)).(العيني،ج٢٢/ص١٤٤).

سادسا: أسلوب الرفق في المعاملة

ومثاله ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((أتى النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه ومعهن أم سليم فقال: ويحك يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير)).(رواه البخاري،١٤٠٧هـ .١٩٨٧م ،رقم ٥٧٩٧،ج٥/ص٢٢٧٨، ومسلم،رقم ٢٣٢٣، ج٤/ص١٨١١).

القوارير جمع قارورة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، والقوارير في الحديث النساء، وسميت النساء بالقوارير لضعف عزائمهن.(العسقلاني،ج١٠/ص٥٤٥، الأزهري،٢٠٠١م ،ج٨/ص٢٢٨، ، الزبيدي،ج١٧/ص٤٠٥).

وفي معنى الحديث احتمالان قال الخطابي: ((كان انجشة أسود وكان في سوقه عنف فأمره أن يرفق بالمطايا، وقيل كان حسن الصوت بالحداء فكره أن تسمع النساء الحداء فإن حسن الصوت يحرك من النفوس، فشبه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر إليها)).(العسقلاني،ج١٠/ص٥٤٥).

وقد جوز القرطبي في المفهم الأمرين.(العسقلاني،ج١٠/ص٥٤٥ .٥٤٦).

ورجح ابن بطال الاول.(العسقلاني،ج١٠/ص٥٤٥).

ورجح ابوعبيد الهروي والقاضي عياض الثاني، كما رجح ابن حجر ان الإمام البخاري يرجح الاحتمال الثاني فقال: ((ولذلك ادخل البخاري هذا الحديث في باب المعاريض، ولو اريد المعنى الأول لم يكن في لفظ القوارير تعريض)). (العسقلاني،ج١٠/ص٥٤٦).

وعلى كل حال لسنا بصدد ترجيح احد الاحتمالين، وإنما نقصد المعنى التربوي والنفسي من الحديث، وهو ضرورة الرفق بالنساء في التعامل معهن .

إن الرفق في التعامل مع الجميع مقصد شرعي واجب، إلا أن الرفق بالنساء لعاطفتهن ورقتهن اوجب ولهذا خصه الإسلام بمزيد اهتمام.

سابعا:أسلوب حفظ الأسرار والخصوصيات

ومثاله ما رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن من اشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)).(رواه مسلم،رقم ١٤٣٧،ج٢/ص١٠٦٠).

ومعنى الحديث ان ينشر الرجل ويفشي ما جرى بينه وبين امرأته حال الاستمتاع بها فهذا من اعظم الخيانة، والمرأة في ذلك كالرجل فيحرم عليها إفشاء سره ووصف تفاصيل ما يتعلق بالمضاجعة والجماع.(ينظر: الفيروز آبادي،١٩٩٥م ،ج١٣/ص١٤٩، ابن مفلح في المبدع،١٤٠٠هـ، ج٢٠٢/٧ص، المقدسي في الفروع،١٤١٠هـ، ج٥/ص ٢٤٨، الغزالي،ج٢/ص٥٦،المناوي في الفيض،١٣٥٦هـ، ج٢/ص٥، الصنعاني،١٣٧٩هـ ج٣،ص١٤١).

إن للعلاقة الزوجية قدسية عظيمة لذلك أحيطت بمقومات وضوابط ووصايا من الرضا والنفقة والولي والشهود وعدم الاضرار والحقوق المشتركة وغيرها، وقد بنيت هذه العلاقة على الوضوح والمكاشفة عقلا وروحا وجسدا بين الزوجين، ومن تمام الألفة والمودة والمحبة كتم أسرار بعضهما بعضا وعدم إفشائها جملة وتفصيلا، ولا سيما في قضية الفراش والجماع، إذ ذلك منتهى الخيانة والتنكر لقدسية هذه العلاقة.

ثامنا:أسلوب التحبب إلى الزوجة

ومثاله ما رواه سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وانا مريض بمكة فقلت: لي مال أوصي بمالي كله؟ قال: لا، قلت: فالشطر؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم، ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها فيَ امرأتك، ولعل الله يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون)).(رواه البخاري،١٤٠٧هـ .١٩٨٧م، رقم٥٠٣٩،ج٥/ص٢٠٤٧،ومسلم، رقم ١٦٢٨،ج٣/ص١٢٥٠).

يرشد هذا الحديث إلى أمرين:

الأول: أسلوب من الأساليب النفسية والتربوية وهو ملاعبة الزوجة والتحبب إليها بمشاركتها الطعام، ووضع اللقمة في فمها تحببا ومودة وألفة.

والثاني: ان ذلك للمسلم صدقة واجر إن نوى بذلك التقرب إلى الله سبحانه.

ان النبي صلى الله عليه وسلم يرشد على كل ما من شأنه أن يقوي الرابطة الزوجية من السلوكيات، ولنتخيل كيف تحس الزوجة حين يضع زوجها الطعام في فمها مع ابتسامة عريضة، إن الأثر النفسي الذي يحدثه هذا السلوك عظيم في نفس الزوجة.

وليس هذا فحسب بل إن الزوج سيؤجر على ذلك وهذا من يسر الاسلام وسماحته وصلاحيته للدين والدنيا، فمعنى الحديث ((أن المنفق لابتغاء رضائه تعالى يؤجر وإن كان محل الإنفاق محل الشهوة وحظ النفس، لأن الأعمال بالنيات)).(المباركفوري،ج٦/ص٢٥٢).

ويؤكد هذا المعنى الحديث الذي رواه ابو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((...وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله ايأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: ارأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا)).(قطعة من حديث طويل رواه مسلم، رقم١٠٠٦،ج٢/ص٦٩٧).

إن الاسلام لم يحث على التعامل الحسن مع الزوجات وحسن العشرة معهن فحسب، بل جعل في ذلك اجرا عظيما لمن ابتغى فيه وجه الله تعالى، وهو بذلك يفترق عن الرهبانية التي ابتدعتها كثير من الاديان من عندها، من ترك التزوج والانقطاع عن الدنيا، إذ أنه ((كل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح)).(ابن تيمية في المجموع،ج١٠/ص٣١،وينظر: ابن رجب،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م،ج١/ص١٢).

تاسعا: أسلوب الحرص على رؤيتها في أحسن هيئاتها

ومثاله ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دخلت ليلا فلا تدخل على اهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعليك بالكيس الكيس))،(رواه البخاري،١٤٠٧هـ -١٩٨٧م، رقم٤٩٤٨،ج٥/ص٢٠٠٨، ،ومسلم،رقم ٧١٥،ج٣/ص١٥٢٧).

والإستحداد إزالة شعر العانة بالموسى، والمغيبة: هي التي غاب عنها زوجها. (ينظر: النووي،١٣٩٢هـ ،ج١٠/ص٥٤،).

وفي هذا الحديث استعمال مكارم الأخلاق والشفقة على المسلمين، والاحتراز من تتبع العورات، واجتلاب ما يقتضي دوام الصحبة، وان لا يهجم على اهله وهم في هيئة غير مناسبة من عدم الامتشاط وإزالة الشعر فينفر الزوج عنهن، والمراد إذا سافر سفرا يطيل فيه الغيبة.(ينظر: النووي،١٣٩٢هـ ،١٠/ص٥٤،الزرقاني،١٤١١هـ،ج٢/٤٨٨،النووي في المجموع،١٩٩٧م، ج٤/ص٣٤٢، الصنعاني،١٣٧٩هـ ،ج٣/ص١٤٠).

هذا أسلوب من الأساليب التربوية التي ينبه عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الرجل في غيابه قد تهمل المرأة نفسها ولا تعتني بزينتها، والاسلام يريد الزوجة ان تكون جميلة في عين

زوجها في كل الأحوال، ولا سيما عند حال الشوق والقدوم من السفر، فيطلب الحديث من المسافر ان لا يفاجأ زوجته بقدومه حتى لا يرى منها ما يكره مما يؤثر على نفسيته ونفسيتها.

عاشرا: أسلوب المبالغة في إظهار المشاعر

ومثاله ما رواه حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أمه ام كلثوم بنت عقبة بنت ابي معيط رضي الله عنها وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا او ينمي خيرا، قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها))،(رواه مسلم،رقم ٢٦٠٥،ج٤/ص٢٠١١).

لقد جوز النبي صلى الله عليه وسلم الكذب في هذه الأمور الثلاثة لأن ((هذه أمور يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصدق طالبا السلامة ودفعا للضرر، وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الإفساد لما يؤمل فيه الكثير من الإصلاح)).(القاري من قول الخطابي،١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م، ج٩/ص٢٣٧).

إن الكذب المقصود من الحديث هو المعاريض والتلويح لا صريح الكذب((ليخرج عن الكذب الصراح كما قاله جماعة من أهل العلم)).(القنوجي في الروضة،١٩٩٩م،ج٣/ص٤٥٥).

ويعدي الغزالي الحكم فيقول: ((فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء، وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره)).(الغزالي،ج٣/ص١٣٨).

ويهدف الحديث الى زيادة الألفة وتوكيد رابطة الزوجية، ((وان يصلح بين الضرات من نسائه، بان يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه، وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها)).(الغزالي،ج٣/ص١٣٨).

الحادي عشر:أسلوب المشاركة في الجانب العبادي

ومثاله ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)).

(رواه أبو داود، رقم ١٣٠٨،ج٢/ص٣٣، واحمد،رقم٧٤٠٤،ج٢/ص٢٥٠، والنسائي،١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م ،رقم١٦١٠،ج٣/ص٢٥٠، وصححه ابن خزيمة،١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م ،رقم١١٤٨، ج٢/ص١٨٣، ، وابن حبان،١٤١٤هـ . ١٩٩٣م،رقم ٢٥٦٧،ج٦/ص٣٠٦، وصحح النووي إسناده في المجموع،١٩٩٧م، ج٤/ص٤٩،وقال الشوكاني في السيل: رجاله ثقات،١٤٠٥هـ ،ج١/ص٢٥١).

إن هذا الحديث يشير إلى معنى تربوي ونفسي جليل وهو ان الحياة بين الزوجين عبارة عن مشاركة في كل شيء حتى في العبادات وقيام الليل، وهذه الشراكة في العبادة ترسخ الأواصر الزوجية.

والمراد من الحديث التلطف مع الزوجة والسعي في قيامها مهما أمكن، وفيه بيان حسن المعاشرة وكمال الملاطفة والموافقة.(ينظر: القاري،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ،ج٣/ص٢٧٨،).

الثاني عشر: أسلوب الموعظة والتذكير

ومثاله ما روته عائشة قالت: ((قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد: تعني قصيرة، فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيت له إنسانا فقال: ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا).

(رواه أبو داود،رقم٤٨٧٥،ج٤/ص٢٦٩،والترمذي،رقم٢٥٠٢،ج٤/ص٦٦٠وقال:حسن صحيح).

هنا يؤصل النبي صلى الله عليه وسلم لأسلوب الموعظة وكيف ان الزوج لا ينبغي مهما كان حين يرى الخطأ أن يسكت عليه بأي حال من الأحوال.

ومعنى الحديث إن هذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله مع كثرته وغزارته، وحكيت له إنسانا: أي فعلت مثل ما فعله تحقيرا له، ما أحب أني حكيت إنسانا: أي ما يسرني ان اتحدث بعيبه، وان لي كذا وكذا أي: ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا أي شيئا كثيرا على ذلك.(ينظر:المباركفوري،ج٧/ص١٧٧،عون المعبود،١٩٩٥م ،ج١٣/ص١٥١،).

الثالث عشر:أسلوب التعليم

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله: مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله: قد قلت وعليكم)). رواه البخاري، ١٤٠٧هـ .١٩٨٧م رقم٥٦٧٨،ج٥/ص٢٢٤٢،ومسلم،رقم٢١٦٥/ج٤/١٧٠٦)

بعض الأزواج يردن من زوجاتهم أن يكن واعيات فاهمات لكل شيء، كأن لم يكن على عاتقه أي مسؤولية في تعليم الزوجة بالرفق والأناة.

وهذا هو المعلم الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كيف يكون التعليم للزوجة، وان نتحمل عدم معرفتها بالتصرف الصحيح، وأن لا نقابل ذلك بالتعنيف او السخرية والاستهزاء، بل بمحاولة شرح الأمور وتوضيحها بالأسلوب الحسن.

المبحث الثاني

مراعاة السنة النبوية العملية للأساليب النفسية والتربوية في التعامل مع الزوجات

أولا: أسلوب المداعبة والمزاح

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك)).

(رواه احمد، رقم ٢٦٣٢٠،ج٦/ ٢٦٤،وابو داود،رقم ٢٥٧٨،ج٣/ص٢٩،النسائي في الكبرى،رقم٨٩٤٥،ج٥/ص٣٠٤،وصححه ابن حبان،رقم٤٦٩١،ج١٠/ص٥٤٥).

نعم هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يداعب أهله ويمازحهم ويلعب معهم، إنه الأسوة في كل شيء، حيث يزيد هذا الأسلوب المحبة والمودة ولا ينقص من قدر الزوج مهما عظم قدره، يقول ابن عقيل الحنبلي: ((والعاقل إذا خلا بزوجاته وإمائه ترك العقل في زاوية كالشيخ الموقر، وداعب ومازح وهازل ليعطي الزوجة والنفس حقهما، وإن خلا بأطفاله خرج في صورة طفل ويهجر الجد في ذلك الوقت))، (ابن مفلح في الآداب،ج٣/ص٢٢٨).

ويوصي الإمام الغزالي بالاعتدال في ذلك فيقول: ((أن لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها، ويسقط بالكلية هيبته عندها، بل يراعي الاعتدال فيه))،(الغزالي،ج٢/ص٤٤).

والنبي صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك فحسب، بل يوصي به الزوجين فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات فتزوجت امرأة ثيبا، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم، فقال: بكرا ام ثيبا؟ قلت بل ثيبا قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك؟ قال: فقلت له إن عبد الله هلك وترك بنات، وإني كرهت أن اجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن فقال: بارك الله لك أو قال: خيرا)).(رواه البخاري،رقم٥٠٥٢،ج٥/ص٢٠٥٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ومسلم،رقم٧١٥،ج٢/ص١٠٨٧ بنحوه).

فالملاعبة والمضاحكة من الأساليب التربوية والنفسية التي هي من مقاصد الزواج في الشريعة، فأنس الزوجين احدهما بالآخر بالملاعبة والمزاح من صميم هذا الدين وليس خروجا عنه إلى ما لا يليق من الأدب.

ثانيا: أسلوب ترك الحياء في الحياة الزوجية

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء بيني وبينه واحد، فيبادرني حتى أقول: دع لي دع لي قالت: وهما جنبان)).(رواه مسلم،رقم٣٢١،ج١/ص٢٥٧).

يحسن الحياء في كل شيء في الحياة إذ هو من الإيمان، ولا يأمر صاحبه إلا بالخير، إلا أنه قد يكون مذموما في مواضع كطلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشهادة أمام القاضي، ومن هذه المواضع ما يجري بين الزوجين من ملاعبة ومشاركة في الحياة الزوجية.

فهذا أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم يغتسل وعائشة من إناء واحد بعد جنابة، دون تحوط أو تحرج، مما يمنح الزوجين مزيدا من الاندماج والألفة، وكما قال تعالى: ((هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)).(البقرة، آية١٨٧).

ثالثا: أسلوب المداراة وعدم الهجرة أيام ضعفها

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكئ في حجري وأنا حائض)).(رواه البخاري،١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، رقم٢٩٣،ج١/ص١١٤).

وما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها، قالت: وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه))،(رواه البخاري،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم٢٩٦،ج١/ص١١٥،ومسلم،رقم٢٩٣،ج١/ص٢٤٢).

إن المرأة عادة ما يعتريها الضعف والوهن من عدة حالات، من طبيعة بنيتها الضعيفة، وحالات الحيض والنفاس والحمل والولادة ورعاية الأولاد، وقد يحصل من جراء ذلك مضاعفات جسمية ونفسية تحتاج فيها الزوجة إلى الإهتمام والتسلية عما فيها.

والاتكاء في حجر الحائض ومباشرتها أسلوب نبوي بلغ الذروة في الذوق والحنان ورعاية الزوجة وبعث رسائل الحب في ايام الضعف والوهن.

رابعا: أسلوب الخدمة وتلبية الحاجات

ومثاله ما رواه الأسود بن يزيد سألت عائشة رضي الله عنها ((ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في البيت؟ قالت: كان يكون في خدمة أهله فإذا سمع الأذان خرج)).(رواه البخاري،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، رقم٥٠٤٨،ج٥/ص٢٠٥٢).

فأهل البيت يحسون بالسعادة والطمأنينة والراحة النفسية حين يرون رب الأسرة يقوم بعمل البيت ويخدم زوجه، وهذا أدب نبوي رفيع يحسن بكل مسلم أن يتمثله عمليا في حياته الزوجية.

خامسا: أسلوب التواضع لهم

ومثاله ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث غزوة خيبر الطويل وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين صفية رضي الله عنها يقول في آخره: ((...ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي

صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب))،(رواه البخاري،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم٣٩٧٤،ج٤/ص١٥٤٢).

يحوي: أي يجعل لها حوية وهي كساء محشو يدار حول الراكب،أو هو كساء يعمل حول سنام البعير ليركب عليه. ينظر:(العيني،ج١٧/ص٢٤٤، القنوجي في حسن الاسوة ،١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ،ج١/ص٤٨٢).

هذا الحديث يؤصل لقمة التواضع في الحياة الزوجية، وأنها حياة لا تقاس بالغالب والمغلوب، وإنما هي رحمة ومودة وتواضع وتنازل واهتمام بالآخر، وكم هي حالات الطلاق بسبب تكبر وعدم تنازل من احد الزوجين ولو على أمور تافهة.

إن هذا الحديث يرد على كل من يتهم الإسلام بأنه هضم حقوق المرأة، اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم يحيط زوجه بعباءة، وتصعد على ركبته إلى الدابة، فهل يفعلها دعاة المدنية والتحرر الآن لزوجاتهم أم أن الأنفة والتكبر هو السلوك السائد؟!!.

قال ابن مفلح: ((وكان عليه الصلاة والسلام يكون في بيته وغير ذلك من شدة تواضعه ومكارم أخلاقه وسيرته العالية صلى الله عليه وسلم بخلاف ما يفعله كثير من أصحاب النواميس والحمقى والمتكبرين))،(ابن مفلح في الآداب،١٤١٧هـ - ١٩٩٦م،ج٣/ص٢٢٨).

سادسا: أسلوب التجمل والتزين للزوجة

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها ((ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك)).(رواه مسلم،رقم٢٥٣،ج١/ص٢٢٠).

هذا خلق وأسلوب كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفذه عمليا، وهو انه يكون في أحسن حالاته وأبهى نظافته وزينته عندما يكون في بيته ومع اهله، فكما يطلب ذلك من الزوجة فالزوج مأمور بذلك التزين والتجمل لها ايضا.

ومن حكم الحديث انه ربما تغيرت رائحة الفم عند محادثة الناس فإذا دخل البيت كان من حسن معاشرة الأهل إزالة ذلك، وفي الحديث دلالة على استحباب السواك عند دخول المنزل،(ينظر:السيوطي على النسائي ،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م،ج١/ص١٣،ابن ضويان،١٤٠٥هـ، ج١/ ص٢٩).

سابعا:أسلوب التسامح واحتمال الغضب والغيرة

ومثاله ما رواه انس رضي الله عنه قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى اتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت)).(رواه البخاري،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم٤٩٢٧،ج٥/٢٠٠٣).

أم المؤمنين تغار من ضرتها فتكسر إنائها وفيه الطعام وتجعله قطعة قطعة لأن ضرتها أرسلته، ويتعامل النبي صلى الله عليه وسلم معها بتسامح وصبر وحكمة، مع أنها أحرجته أمام ضيوفه ويقول لهم: غارت أمكم ويبدأ بجمع قطع الإناء والطعام، وصدق الله تعالى: ((وإنك لعلى خلق عظيم)).(القلم،آية ٤).

ليست الزوجة آلة لا تملك عواطف ولا مشاعر، ولكن هذه العواطف والمشاعر قد تتجاوز الحد، فعلى الزوج احتمال ذلك وان لا يرد الإساءة بالإساءة.

وأم المؤمنين التي غارت هي عائشة رضي الله عنها ووصفها بأمكم اعتذار منه صلى الله عليه وسلم لئلا يحمل صنيعها على ما يذم، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة فإنها مركبة في النفس بحيث لا يقدر على دفعها. (ينظر:العسقلاني،ج٥/ص١٢٦،القاري، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج٦/١٣٠).

ثامنا: أسلوب الترويح عن الزوجة

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فليعبن معي)).(رواه البخاري، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم ٥٧٧٩،ج٥/ص٢٢٧٠).

ومعنى يسربهن: أي يرسلهن إلي،أو من السرب وهي جماعة النساء أي يرسلهن سربا سربا.(ينظر:ابن منظور،ج١/٦٤،ابن الأثير، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٢/ص٣٥٦،القاري،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ،ج٦/ص٣٥٩).

ومعنى يتقمعن منه: يتغيبن منه ويدخلن من وراء الستر، واصله من قمع التمرة أي يدخلن في الستر كما يدخلن التمرة في قمعها.(العسقلاني،ج١٠/ص٥٢٧،العيني،ج٢٢/١٧٠).

هذا أسلوب نبوي آخر وهو يعلمنا كيف نسعى إلى الترويح عن أهلينا وزوجاتنا من غير معصية، ومن نوع الترفيه الذي تحبه الزوجة، وليس في ذلك حرج، بل هو مما يؤكد الروابط الزوجية ويصلح من الصحة النفسية للزوجين.

تاسعا:أسلوب الرقية والتمريض

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض احد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وامسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي، وفي رواية يحيى بن ايوب بمعوذات)).(رواه البخاري،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم٢١٩٢،ج٤/ص١٧٢٣).

والنفث نفخ لطيف بلا ريق، وفي الحديث استحباب النفث في الرقية وقد أجمعوا على جوازه واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم،(ينظر:النووي،١٣٩٢هـ، ج١٤/ص١٨٢).

هذا هو أسلوب الحنان والمودة النبوي، أن يكون قريبا من المريض يواسيه ويهون عليه ما فيه ويرقيه، وكم ذاك مؤثر في شريك الحياة وهي ترى زوجها يحن عليها ويرقيها ويتمنى شفائها.

عاشرا: أسلوب السؤال والتفقد

ومثاله ما رواه انس رضي الله عنه في حديث زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وفيه ((...ولقد رايتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن...)).(رواه مسلم،رقم١٤٢٨،ج٢/ص١٠٤٨).

ليس هناك شيء اشد على الزوجة من الهجران وعدم التفقد والسؤال، وهذا الأسلوب التربوي النبوي هو الكفيل بان يطيب نفس الزوجة او الزوجات على الدوام، إذ الإحساس بالإهتمام يبعث الفرح والبهجة في النفس مما يعود بالخير والصلاح على الحياة الزوجية ككل.

الحادي عشر: أسلوب الإستشارة

ومثاله ما رواه المسور بن مخرمة ومروان في حديث صلح الحديبية الطويل((أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما...)).(قطعة من حديث رواه البخاري،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم٢٥٨١،ج٢/ص٩٧٤).

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مستائين من عدم دخول مكة ومن الصلح، فلم يسارعوا الى النحر والحلق كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل على أم المؤمنين يشكو الحال ويستشيرها فأشارت عليه بان ينحر ويحلق عمليا ليفعلوا ذلك وكان بالضبط ما أشارت به.

إنه ليس ينقص من قدر الرجل استشارته لزوجه، فهما في سفينة واحدة في لجة الحياة، وما يصبه يصيبها وقد يكون رأيها احكم في كثير من القضايا من الرجل.

إن الاستشارة لا تنافي القوامة بحال من الأحوال إذ القرار له في النهاية، لكن الزوج المثالي من يشرك أهل بيته في قراراته، ويتحرى الصواب منها، كما ان هذه الاستشارة تشعر الزوجة بالقيمة والاهتمام ويكينونتها في هذه الحياة.

إن الذي يحكي لزوجه هنا هو النبي الموحى إليه والمسدد بالوحي ثم يأخذ بمشورتها.

الثاني عشر:أسلوب العدل

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها...)).(رواه البخاري،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،رقم ٢٤٥٣،ج٢/ص٩١٦).

إن العدل في التعامل مع الزوجة أو الزوجات ليس أسلوبا يكون فيه الزوج مخيرا، بل هو من واجبات الشريعة ومقاصدها العظمى، وهو الكفيل بإشاعة روح الألفة في الأسرة، لأن الظلم عامل من عوامل هدم الأسر المسلمة.

الثالث عشر: اسلوب الصبر والتروي في المشكلات الزوجية

ومثاله ما رواه عمر رضي الله عنه قال: ((كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي في عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثله، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني فقالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني فقلت: خابت من فعل منهن بعظيم، ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة فقلت: أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله اليوم حتى الليل فقالت: نعم...)).(رواه البخاري من حديث طويل،١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م ،رقم ٢٣٣٦،ج٢/ص٨٧١).

ومعنى نغلب النساء أي نحكم عليهن، وصخبت من الصخب وهو الصياح، والمراجعة المراددة،(ينظر: العيني،ج٢٠/١٨١ص١٨٢).

إن الحياة الزوجية ليس حياة خالية من المشكلات والمعوقات، فمن طبيعتها الخلاف بين الزوجين في بعض الأمور، ويتوهم البعض ان هذه الحياة هي حياة وردية مثالية لا احتكاك فيها ولا خلاف، ربما كان الإعلام دور كبير في ترسيخ هذا الوهم.

المشكلة ليست في حدوث المشكلات في الحياة الزوجية، وإنما في طريقة التعاطي معها بالصبر والتأني والحكمة، ومعرفة أحد الطرفين لهموم ووجهة النظر للطرف الآخر.

الخاتمة والتوصيات

لقد كانت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

أولا: إن الشريعة الإسلامية عنيت بإثبات وتأصيل حسن العشرة والتعامل مع الزوجات في القرآن والسنة من الأمر بالمعاشرة بالمعروف، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب النساء، وأنه خير الرجال لزوجاته، وأمرنا بأن نتقي الله فيهن.

ثانيا: إن السنة النبوية المطهرة راعت جملة من الأساليب النفسية والتربوية القولية والعملية في التعامل مع الزوجات.

ومن الأساليب القولية:

١. راعت السنة أسلوب الحوار والإقناع مع الزوجة وأنه الكفيل بحل جميع الخلافات.

٢. راعت السنة بأسلوب الاعلان عن مشاعر الحب والمودة للزوجة فهو ذات أثر نفسي عظيم.

٣. راعت السنة أسلوب المدح والثناء للزوجة على محاسنها وميزاتها.

٤. راعت السنة أسلوب التوازن والتركيز على محاسن الزوجة دون عيوبها.

٥. راعت السنة أسلوب المغفرة والصفح عن الأخطاء ومعرفة طبيعة المرأة وضعفها.

٦. راعت السنة أسلوب الرفق في معاملة النساء وترك الغلظة والعنف.

٧. راعت السنة أسلوب حفظ الأسرار والخصوصيات بين الزوجين واعتبرت من يفشوها من شرار الناس منزلة عند الله.

٨. راعت السنة أسلوب التحبب إلى الزوجة بشتى السلوكيات.

٩. راعت السنة أسلوب الاهتمام بأن لا يرى الرجل زوجته إلا بأحسن أحوالها.

١٠. راعت السنة أسلوب المبالغة في إظهار مشاعر الحب والمودة للزوجة.

١١. راعت السنة أسلوب المشاركة مع الزوجة في العبادات وأن هذه المشاركة خير ما يؤكد الرابطة الزوجية.

١٢. راعت السنة أسلوب الموعظة والتذكير إذا حدثت معصية ومنكر.

١٣. راعت السنة أسلوب التعليم للزوجة ما تجهل برفق وحكمة واناة.

ومن الأساليب العملية:

١. راعت السنة أسلوب المداعبة والمزاح والتبسط مع الزوجة لزيادة المحبة والأنس.

٢. راعت السنة أسلوب المكاشفة وترك الحياء بين الزوجين.

٣. راعت السنة أسلوب مداراة الزوجة في أيام مرضها وحيضها وتعبها.

٤. راعت السنة أسلوب أن يخدم الرجل أهله ويساعدهم في شؤون البيت.

٥. راعت السنة أسلوب التواضع وعدم التكبر على الزوجة.

٦. راعت السنة أسلوب أن يتجمل الزوج لزوجته كما يريد ذلك منها.

٧. راعت السنة أسلوب التسامح مع الزوجة وان يتحمل غضبها وغيرتها.

٨. راعت السنة أسلوب الترويح عن الزوجة بالمباحات من اللهو.
٩. راعت السنة أسلوب الرقية والتمريض للزوجة وأن ذلك يعجل شفائها
١٠. راعت السنة أسلوب السؤال والتفقد للزوجة وعدم هجرتها وإهمالها.
١١. راعت السنة أسلوب الإستشارة فقد يكون الرأي الحكيم عندها.
١٢. راعت السنة أسلوب العدل وعدم ظلمها وان هذا العدل من واجبات الشريعة.
١٣. راعت السنة أسلوب الصبر على المشكلات بين الزوجين وأن الحياة ليست مثالية.

ثالثا: إن السنة النبوية قد سبقت الدراسات النفسية والتربوية في تأسيس وتأصيل وشرح الأساليب النفسية والتربوية في التعامل مع الزوجات، وما هذا البحث إلا نموذج لها، وغيرها كثير.

رابعا: إن صلاح العلاقة الزوجية وفلاحها بالأخذ بالسلوكيات النبوية، وإلا فهو العنف والكر والطلاق والأزمات النفسية.

وأما التوصيات:

فمع الدراسات النفسية والتربوية النافعة والمتميزة في القرآن والسنة، إلا أن بين ثنايا النصوص كنوز عظيمة من الدلالات والمعاني النفسية والتربوية التي تنتظر من يستخرجها ويفجر النصوص لأجلها تفجيرا.

قائمة المصادر

١. القرآن الكريم

٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ .١٩٩٦م، ط٢، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عمر القيام.

٣. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي ابو حامد، دار المعرفة، بيروت.

٤. الأربعين في مناقب امهات المؤمنين، ابو منصور عبد الرحمن بن محمد بن هبة الله بن عساكر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ، ط١، محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير.

٥ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

٦ـ تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ابو العلا،دار الكتب العلمية، بيروت.

٧ـ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ابو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٨ـ تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي بيروت، ٢٠٠١م، ط١، محمد عوض مرعب.

٩ـ التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤٠٨هـ .١٩٨٨م،ط.٣

١٠. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن غسماعيل البخاري ابو عبد الله الجعفي ، دار ابن كثير . اليمامة،بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ط٣. تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.

١١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م،ط١،تحقيق: شعيب الرناؤوط . إبراهيم باجس.

١٢. الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، بيروت.

١٣. الجواب الكافي لمن سال عن الدواء الشافي، محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي ابو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤ـ حاشية السندي على سنن النسائي، نور الدين بن عبد الهادي ابو الحسن السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م، ط٢، تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة.

١٥ـ حجة الله البالغة، للإمام احمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي، دار الكتب الحديث . مكتبة المثنى، القاهرة . بغداد، تحقيق: سيد سابق.

١٦. حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، محمد صديق حسن خان القنوجي، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٥م، ط٥، تحقيق: مصطفى الخن . محيي الدين ستو.

١٧ـ الديباج على مسلم، عبد الرحمن بن ابي بكر ابو الفضل السيوطي، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ١٤١٦هـ .١٩٩٦م، تحقيق: ابو إسحاق الحويني الأثري.
١٨. الروضة الندية، صديق حسن خان القنوجي، دار ابن عفان القاهرة،١٩٩٩م، ط١، تحقيق:علي حسين الحلبي.
١٩. سبل السلام شرح بلوغ المرام من ادلة الأحكام، محمد بن اسماعيل الصنعاني الأمير، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ، ط٤، تحقيق: محمد بن عبد العزيز الخولي.
٢٠ـ سنن ابو داود، سليمان بن الأشعث ابو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقي: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٢١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
٢٢. سنن النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م، ط٢، تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة.
٢٣ـ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١، تحقيق: محمود ابراهيم زايد.
٢٤ـ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ط.١
٢٥ـ شرح السيوطي لسنن النسائي، السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ .١٩٨٦م، ط٢، تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة.
٢٦. شرح النووي على مسلم، ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٣٩٢هـ، ط.٢
٢٧ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبلن، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ١٤١٤هـ .١٩٩٣م،ط٢، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
٢٨ـ صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة ابو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.
٢٩ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي بيروت،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣١ـ عون المعبود شرح سنن ابي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، ١٩٩٥م، ط.٢

٣٢ـ غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ .١٩٨٥م، ط١، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي.
٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
٣٤ـ الفروع وتصحيح الفروع، محمد بن مفلح المقدسي ابو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ط١، تحقيق: ابوالزهراء حازم القاضي.
٣٥ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، ط.١
٣٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط.١
٣٧ـ المبدع في شرحالمقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي ابو إسحاق، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٣٨. المجموع، النووي، دار الفكر،بيروت، ١٩٩٧م.
٣٩ـ مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، ط٢، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي.
٤٠ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله ابو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٤١. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
٤٢ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمد القاري، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ط١، تحقيق: جمال عيتاني.
٤٣. المغني في فقه الإمام أحمد،عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي ابو محمد، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط.١
٤٤. منار السبيل في شرح الدليل، ابراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ ، ط٢، تحقيق: عصام القلعجي.
٤٥ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر احمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
٤٦. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.